كلية الشريعة - ايت ملول
FACULTÉ CHARIAA- AÏT MELLOUL

مختبر الاجتهاد المعاصر

تقرير التقديم لمناقشة أطروحة الدكتوراه بعنوان:

مقاصد القرآن في التعامل مع المخالف
دراسة تأصيلية تحليلية

الموسم الجامعي: 1445هـ/2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم علينا بالقرآن العظيم ذي الخصائص العظيمة، والمقاصد الجليلة، والحكم الربانية، والمنهج القويم في التعامل مع المخالفين والناس أجمعين.

خصه الله سبحانه وتعالى من بين سائر الكتب السماوية، بمزايا عظيمة، ومقاصد جليلة، واصطفى له من عباده من يُظهرها ويبرزها للعالمين؛ ليسترشدوا بهديه، ومقاصده؛ فكان القرآن هو السبيلَ الأمثل، لمعرفة التي هي أقوم، من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والقيم. قال تعالى: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [1].

والصلاة والسلام على خير من علم القرآن وعلمه، وخير من تلاه حق تلاوته تعبداً، ودعوة، وتعليماً، وخير من حقق مقاصده فهماً وتنزيلاً.

وعلى آله وصحبه خير من سلك سبيله، وسار على نهجه، الذين حمَلوا المشعل من بعده، فنالوا بذلك الفضل والسبق في فهم القرآن وأحكامه، وتحقيقِ مقاصده، وعلى من تبعهم من الأولين والآخرين إلى يوم لقائه.

وبعد: فانطلاقا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ))[2]

أتقدم بالشكر الجزيل، والثناء الجميل للسادة الأساتذة الفضلاء: سيدي رئيس اللجنة العلمية المناقشة، فضيلةِ الدكتور العربي البوهالي، وفضيلةِ الدكتور المشرف على بحثي في الدكتوراه العالِم الجليل فضيلة الأستاذ سعيد بوعصاب الذي أشرف على العمل من بدايته وإلى نهايته، حيث رافقني طيلة أعوام البحث، مؤطراً وموجهاً ومواكباً، بكل حزم وصرامة فوجدت عنده العلم والأدب والكرم والتواضع الجم، فكان نعم المشرف ونعم المؤطر ونعم الناصح. فجزاه الله خيراً، ونفع به وأدام عليه نعمة الصحة والعافية، وفضيلةِ الدكتور محمد أبو يحيى العالِم الجليل جعله الله من الذين يحي الله بهم قلوبا غلفا وأعينا صماً، وفضيلةِ الدكتور حسن تقي الدين العالِم الفاضل، وفضيلةِ الدكتور عدنان أجانة العالِم الفاضل.

---

1 [الإسراء آية:9]

2 أخرجه أحمد في المسند، 322/13. (رقم 7939)

إليكم جميعاً خالص مودتي وتقديري واحترامي وشكري على تجشمكم عناء السفر والحضور، للتقييم العمل المتواضع، فجزاكم الله جميعاً خير ما يجازى به عالم عن علمه، وفاضلٌ على فضله، ومرب على تربيته وتوجيهاته.

والشكر أجزله وأوفره إلى جامعة ابن زهر العامرة في شخص رئيسها المفضل العالي القدر التي احتضنتني طيلة أعوام البحث، وإلى كلية الشريعة العامرة بآيت ملول الذائعة الصيت في شخص عميدها المبجل التي أشرفت وكونت وأطرت العمل في ظل مركز الدكتورة، وإلى مختبر الاجتهاد المعاصر في شخص رئيسه الشيخِ العالِم الدكتور العربي البوهالي أطال الله في عمره ونفع به.

وليسمح لي سيدي رئيس اللجنة أن أتوجه بالشكر الجزيل المفحم بالحب والتقدير لأسرتي الكريمة زوجتي وأولادي، الذين صبروا وتحملوا وحملوا معي الهم طيلة أعوام البحث، ولبعض أفراد عائلتي الذين أبوا إلا أن يشاركوني هذه المناسبة العلمية الجليلة. وأخص بالذكر أخي وشقيقي مصطفى الذي كان السندَ والعون مادياً ومعنوياً فجزاه الله خير الجزاء.

وليسمح لي سيدي رئيس اللجنة مرة أخرى بأن أتوجه بالشكل الموصول للحضور الكريم كل باسمه ووصفه، من الأساتذة، والأصدقاء وإخواني وزملائي الطلبة الباحثين.

فجزى الله الجميع خير الجزاء.

وبعد: فقد يسر الله تعالى لي بفضله ومنه، ثم بفضل توجيهات الأستاذ المشرف، إنجاز هذه الأطروحة الموسومة ب"مقاصد القرآن في التعامل مع المخالف دراسة تأصيلية تحليلية"، والتي أقدم بين أيديكم تقريراً عنها يتضمن، وصفاً عاماً، وبياناً لأهميتها، ومشكلتها، وأسبابِ اختيارها، وبعض النتائج المتوصل إليها. فأقول وبالله التوفيق والسداد:

ولما كانت الأسئلةُ الإشكالية التي صُغتها في المقدمة، تتمحور حول أهم القضايا العالمية، قضيةِ الآخر المخالف، وحكمِ التعامل معه، ولما كان القرآن الكريم المصدرَ الأول للمعرفة في الإسلام، كان لابد من التركيز على أحكامه ومقاصده في التعامل مع المخالف؛ لأنه بمعرفتها، يدرك مراد الله تعالى من كتابه، ومن خلقه، فكانت الحاجة ماسةً إلى تلمّس طرق الهداية، وسلوكها بوعي وتبصر؛ ليُحفظ الإنسانُ من الزيغ والضلال، ويحققَ مراد الله رب العالمين، ولما كانت الأحكام الفقهية أيضاً هي الأخرى لازمةً في سياق البحث، تعين انتهاج المنهجِ الاستقرائي والاستنباطي، والتحليلي، ذلك أن المنهج الاستقرائيَّ يرتقي بالعمل البحثي من الخاص باتجاه العام، وجمع النصوص في المسألة الواحدة، وتحليلها ومناقشتها، ثم المنهجِ الاستنباطي الذي يُنتقل به من العام الى الخاص ومن الكل الى الجزء، بحيث ينطلق الباحث من القاعدة الكلية، أو من النصوص العامة، ليستنبط منها الأحكام الجزئية لمسائل تفصيلية.

ولتحقيق ذلك كله، وبعد المشاورة مع الدكتور المشرف، تمت الموافقة على أن تكون بنيةُ الأطروحة متكاملةً، ومكونةً من ثلاثة أبواب، وكل باب من ثلاثة فصول، وكل فصل من ثلاثة مباحث، وكل مبحث من ثلاثة مطالب.

تركزت الأطروحة المعنونة أعلاه على ثلاثة محاور أساسية، المحورِ المفاهيمي، والمحورِ التأصيلي، والمحورِ التطبيقي، وقد أسميت هذه المحاورَ بالأبواب.

فتناولتْ في الباب الأول عدة مفاهيم أذكر منها على سبيل المثال:

مفهوم المقاصد لغة واصطلاحاً، ومفهومَ مقاصد القرآن الكريم، والعلاقةَ بين مقاصد الشريعة، ومقاصد القرآن الكريم، ثم مفهومَ التعامل لغة واصطلاحاً، ومفهومَ المخالف، ثم مفهومَ التعامل مع المخالف كمفهوم مركب، ثم مفهومَ الاختلاف والخلاف والفرقَ بينهما.

وفي هذا السياق قمت بدراسة شبه مصطلحية لظاهرة الاختلاف، حيث ركزت الدراسة على مفهوم الاختلاف في اللغة، ومدى وجوده في القرآن الكريم من حيث الكم والمعنى، ثم علاقة مصطلح "الاختلاف" بما يقابله من الألفاظ، من جهة الاتفاق والاختلاف، ومن جهة الضمائم، مع التأصيل والتمثيل، كما تناولت الأطروحة أيضاً، بالتفصيل والتأصيل والتمثيل، مفهوم المخالفين من حيث وجودهم، ومن حيث رتبهم، وذلك بحسب طبيعة الاختلاف معهم، فتناولت المخالف الديني، والمخالف الفكري والسلوكي، والمخالف السياسي والاجتماعي.

أما الباب الثاني فقد أصلت الأطروحة لكل المصطلحات الواردة فيه، ولكل حكم، ولكل مقصد بقدر الإمكان من الأدلة الممكنة، مع اجتهاد في شرحها وتحليلها وربطها بسياقها، وبيان وجه الاستشهاد بها، كما أصلت الدراسة كذلك للتعامل مع المخالفين بصفة عامة، من القرآن والسنة، وأعمال السلف الصالح، مع استئناسها بشهادات غير المسلمين على حسن تعامل المسلمين من الجيل الأول من الخلفاء الراشدين وغيرهم مع غيرهم من غير المسلمين.

اما الباب الثالث، فقد خصصتُ الحديث فيه عن المحور التطبيقي، بحيث اعتمدتُ على نماذج تطبيقية في كل مجال من المجالات التي تم التطرق إليها في الباب، وتم التركيز على المخالف غير المسلم. مع بيان المراد بمصطلح" غير المسلم"، ثم تصنيف غير المسلمين على النحو التالي: أهلِ كتاب، الصابئة، والمجوس، والمشركين، والمنافقين، وما كان من هذه الأصناف من المعاهَدين، وأهل الذمة، مع التعريف بكل صنف، ثم بينت الأحكام المتعلقة بكل صنف في مختلف الأحوال، مع التركيز على حالات معينة، كحالتي القوة والضُّعف، وحالتي السلم والحرب، ثم أبرزت مقاصد القرآن من الأحكام المتعلقة بالتعامل مع المخالفين غير المسلمين مع الاستشهاد عليها بما أمكن من الأدلة.

أما من حيث التوازن الكمي بين الفصول والمباحث والمطالب، فقد كان الأمر من الصعوبة بمكان؛ لأن طبيعة الموضوعات التي تناولتْها مختلف العناوين، اقتضت أن يتفاوت حجم المباحث والمطالب، غير أني وجدت غايتي في حديث حبيبي وسيدي رسول الله ﷺ القائل:((سددوا

وقاربوا))[3]، وبناء عليه فقد حاولت المقاربة بين ذلك قدر المستطاع، أما بخصوص بنية الأطروحة، فكان فيها ذلك السداد المنشود.

اسمحوا لي سيدي الرئيس بعد هذا الوصف العام للأطروحة أن أتحدث عن أهمية البحث.

إن ارتباط موضوعِ الأطروحة بالقرآن ومقاصدِه، يجعله موضوعاً، فيه من الدقة والخطورة؛ لأنه يعالج نصوصاً، وأحكاماً، يفترض أن تكون غير مرهونةٍ بالزمان والمكان، بل ممتدةً فيهما عبر التاريخ، والأزمان، وتتجدد بتجدد أحوال الناس في كل آن، وهو ما يحقق في الواقع خصائص هذا الدين، من العالمية، التي تسع الزمان والمكان والإنسان، فتسع الزمان في امتداده، والمكان على سعته، والإنسان على اختلافه، وهو ما يحقق في الواقع أيضاً معالجتَه لكل ما يستجد في واقع الناس من الأحداث والقضايا، ونوائب الزمان، وتصحيحَه للتصور نحو الآخر بصفة عامة، والآخر المخالف بصفة خاصة، ذلك ما زاد البحثَ دقة وخطورة، وما زاده أهمية وصعوبة، ثم إنه موضوع تتعدد مجالاته، منها ما هو فكري (عقدي)، وديني، ومنها ما هو فقهي، ومنها ما هو سياسي واجتماعي، وذلك من حيث جريان الأحكام فيه على سبيل التأصيل والتحليل، وتتجلى أهميته أيضاً، في كونه يدعو إلى تجديد الفهم للخطاب القرآني، وتبصر معانيه ودلالاته، وإدراك مقاصده، وأثرها في معالجة مختلف وضعيات التعامل تجاه المخالفين، كما يدعو إلى تجديد الوعي الديني، والسلوكي، فهماً وتنزيلاً، ولما فيه من رفعٍ للهمة، وفتح المجال للعقل، للمزيد من التدبر والتأمل في القرآن الحكيم، وربط الناس به.

ومعلوم أن موضوع التعامل مع المخالفين بصفة عامة، ومع المخالفين غير المسلمين بصفة خاصة، موضوع متجدد؛ لأن أسبابه متجددة ومتنوعة، وفيه من الفجوات البحثية الكثير، مما عُد ذلك من دواعي البحث فيه.

(3) صحيح سنن النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب: الدين يسر. (الرقم: 4661).

وهناك أسباب أخرى موضوعيةُ وذاتية، وكذا ما يتعلق بالمنهجية التي سارت أطوار البحث على وفقها، وكذلك ما يتعلق بمنهجية البحث، والأهداف التي رسمت قصد تحقيقها، فقد بسطت ذلك كلَّه في مقدمة البحث.

وبعد عرض ذلك كله خلصت الأطروحة إلى عدة نتائج واستنتاجات أذكر منها ما يلي:

إن الدراسات القرآنيةَ بمختلف أصنافها، وخاصة ما يتعلق بمقاصد القرآن، قادرة، أن تساير واقع الناس وتجيب على كثير من أسئلتهم، وتعالجَ مختلف الوضعيات التعاملية، تجاه المخالفين بمختلف أصنافهم ورتبهم، وخلصت أيضاً إلى أن موضوع البحث، موضوع آني ومتجدد يحتاج إلى تبصر هدايات الخطاب القرآني حوله، فهماً وتنزيلاً.

هذا فما كان فيه من توفيق فمن الله سبحانه وتعالى، وما كان فيه من خلل ونقص فمني ومن الشيطان والحق منه براء.

وفي الختام أجدد شكري وتقدير إلى الدكتور المشرف سعيد بوعصاب الذي أشرف على العمل من بدايته وإلى نهايته، حيث تابع البحث خطوة بخطوة، وباباً باباً، وفصلاً فصلاً، مؤطراً وموجهاً ومواكباً، بكل حزم وصرامة. فجزاه الله خيراً ونفع به وأدام عليه نعمة الصحة والعافية.

وإلى أعضاء لجنة المناقشة السادة العلماء الأجلاء كل باسمه ورسمه وموقعه، فجزاكم الله خير الجزاء ونفع بكم.

وإلى جامعة ابن زهر التي احتضنتني طيلة أعوام البحث، وإلى كلية الشريعة هذه التي أشرفت وكونت وأطرت العمل في ظل مركز الدكتورة، ومختبر الاجتهاد المعاصر.

وإلى الحضور الكريم كل باسمه وصفته.

وإلى أسرتي وعائلتي، وكل من جاء من بعيد ليشاركني هذا العرس العلمي المبارك.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

التوصيات

إن مصطلح "علوم القرآن الكريم" يشمل علوماً كثيرة ومتنوعة، ومنها ما يصطلح عليه ب "الدراسات القرآنية"، وهو مصطلح جديد إلى حدّ مّا، وشامل وجامع، فلا يمكن الإحاطة بجوانبه، ببحوث فردية، ولا أن تحتويه أطروحات فردية تحت أي مسمى، بالرغم من أهمية إسهاماته في إبراز جانب من جوانبها، غير أنها تتطلب جهوداً جماعية، ومن هنا أدعو إلى تخصيص مجامع بحثية تعنى بالدراسات القرآنية، تحت إشراف مراكز ومختبرات بحثية، وذلك قصد تجميع الجهود، وتأطيرها،

وفي انتظار تطوير الفكرة من التنظير إلى التنزيل، فإني أهيب بالسادة الباحثين المهتمين، بتخصيص بحوثهم حول الدراسات القرآنية تخص جانبا من جوانبها، كما أهيب بالأساتذة والدكاترة الجامعيين، بحث طلابهم على اقتحام هذا المجال الذي أراه لا زال خصباً؛ لأن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ الله عليه وسلم.